حِبر أبيَض
WHITE INK

أ.د. حياة الرشيدي

يوم المشقر "الصفقة" هل هو بداية أم نهاية؟

هل كان هذا اليوم من أيام العرب، يومًا أنهى الحقد والجبروت الفارسي من كسرى، وتبدلت العلاقات إلى المهادنة؟! أم اســتمر الفرس في عنجهيتهم وتعاليهم؟! والمشــقَّر اسم لحصن قديم عظيم، كان مكانًا مرموقًا في منطقة هجر بالبحرين.

لقد كان يوم المشــقر يومَ انتقام كســرى الثاني، من بني تميم وكان السبب ليس سياسيًّا وإنما كان ســببًا اقتصاديًّا، وذلك حين ألغى كســرى دور بني تميم في عقر دارهم من تقديم الحماية الأمنية لقوافل التجارة، وكان الهدف من ذلك أن يســتحوذ عليها حتــى يفرض ما يفرض من ضرائب وإتــاوات، ناهيك عن غض الطرف عمــن يتعدى على بعض القوافل لنهبها خاصــة ما كانت ملكيتها لعربي من العرب.

لقــد كان خط ســير القوافل التجارية يبدأ مــن "المدائن" عاصمة الفــرس، إلى الحيرة حيث النعمان، وتقديــم الحماية لها، ومن ثم إلى هوذة ومقره اليمامة، وله (جعالة) مقابل مالي، ومــن اليمامة تنطلق إلى أن تصل إلى اليمن، وهناك يتقدم لاســتلامها من كان كســرى يكلفهم بالإشراف على ذلك.

وتذكر المصادر التاريخية كالطبري في مؤلَفه "تاريخ الأمم والملوك" وغيره، بأن كســرى أنوشــروان أرسل إلى عامله باليمن بعيرًا تحمل شجرًا للاستفادة من أخشابها في صناعات متعددة منها الســهام، وبوصولها إلى اليمامــة ألغى هوذة دور بني تميم في تقديــم الحماية، وطبعيٌّ أن تكــون ردة فعلهم أن يقفوا للدفــاع عن حقهم ووجودهم السياســي في موقعهم، واســتطاعوا الســيطرة عليهم، ووقع هوذة أسيرًا وافتدى نفسه بما يقارب من 300 بعير، تفرعت الأحداث والأبرز في ذلك بلوغ تداعيات الأحداث إلى كســرى بعد وصول هوذة إليه، فقال كسرى: يا هوذة رأيت هؤلاء اللذين قتلوا أســاورتي وأخذوا مالي، واســتغل ثأرًا كان بين هوذة بني تميم، وقد قدم كسرى الدعم لهوذة، لكن قوة بني تميم في مواقعهم وجغرافيتهم كانت محل ذعر هوذة وأســاور كسرى، فجاء المقترح بأن تُمنع عنهم الميرة -القوافل الغذائية-، وكانت تلك الســنة سنة جدب وقحط، ويلاحظ أهمية بني تميم ومكانتهم السياســية، وفي الطرف الآخر التربص واستخدام أسلحة الغدر والقهر للعــرب حتى تأتي إلى الأكاســرة صاغرين. لكن هيهات هيهات، فالعربي يقدم نفســه هينة على ألا تُمَسَّ كرامته أو يُنْتَهَك حِمَاهُ.

توالت الأحداث وعيَّن كسرى رجلاً، يقال له "المكعبر" قد اشتهر بقطع الأيدي والتمثيل بمن يســلبونه حق الدفاع عن نفسه، وليست تلك شجاعة أن يجرد الأشــخاص من أسلحتهم، ويستخدم ضدهم أبشــع أنواع القتل والتعذيب، نجح هوذة بمســاعدة كســرى في أن يستدرج بني تميم لطلب الميرة، وكانــت روائح البطش تعم المكان، وقد فرضوا على كل مــن يأتي أن يترك سلاحه في الخارج ويدخل إلى حصن المشــقر، وتنادَوا، ولكن البطولات العربية بحكمة رجالها لا تتوقف وإن كانت النهاية هزيمة لكنها كانت مقابل رفض الغدر والذل أو التذلل لكسرى وأشباهه.

صاح رجل من بني تميم بقومه ألا تدخلوا مسلوبي السلاح، فما بعد السلب إلا القتل، واستل ســيفاً قطع به سلســلة كانت على باب المشقر، وقطع يد من كان يحرســه، وكان الجزاء من جنس العمل، واستمر هوذة في استغلاله كل ما يمكن أن يقضي به على قوة بني تميم فساوم في رجال من خيرة الرجال، وقُتل الكثير في ذلك اليوم.

هو يوم تأكد فيه أن طغيان الأكاســرة لا يمكن أن يُنال بالغدر وإشاعة الذعر بالقتل وسفك الدماء العربية للخلاص من قوتهم، وبسط توسعهم وإمبراطوريتهم التي اتسعت بقهر الشعوب.